(١٤)

الـــروح

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى
وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

(سورة الإسراء ٨٥)

حديث الروح حديث يلعب بالكثير من عقول الناس، فمنهم مؤمن بالروح، ومنهم من هو ناكر لها، ومنهم من يقول أن الموت إنعدام للشخص ونهاية للحياة، فلا ألم ولا عقاب ولا نعيم ولا عذاب ولكنها الحياة قد انتهت بخروج الروح وفناء الجسد، ومنه من اتخذها موضوعا للبحث والدراسة، ومنهم من ذهب إلى ما هو أكثر من ذلك وأبعد فقالوا إنهم رأوها رأى للعين ولمسوها باليد، ومنهم من إدعى أنه أخذ لها صورا فوتوغرافية عرضها على الناس ونشرها فى الكتب، وهكذا كان الحديث ينتقل من جهة إلى أخرى والجدال يشتد من ناحية والحوار يقوى والأصوات ترتفع، وكل يدلى بما سمع وما قرأ ومنهم من يدعى أنه رأى أو لمس وطال الحديث وطال الجدال الى أن سألنى صديقى وهو يحاورنى عما قال القرآن، وما قال الرسول فى الروح: «قلت إن هذا السؤال بعينه قد سألته قريش للنبى صلى الله عليه وسلم فنزل عليه الوحى من ربه قائلا:

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

ولكن قريشا لا تجد فى ذلك القول ما يشفى صدورها ويروى غلتها فيتهموا الرسول بالعجز فيقول لهم عتبة: (والله ما هو بعاجز، وما كذبكم فى هذا شيئا إن الروح لا يمكن أن تكون من أمر بشر لقد أصدقكم، وما كان عليه ولو أنه نبى كاذب أن يقول لكم فى أمرها قولا أو يصف لكم وصفا يسكتكم).

وصدق رسول الله عليه الصلاة والسلام فالروح من أمر الله، ولا يمكن أن تكون من أمر بشر فسبحانه وتعالى القائل:

فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ (الحجر ٢٩)

فما الموت إلا تغير فى الحال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة، ومفارقة الروح للجسد هى انقطاعها عن التصرف فيه وفقدانها السيطرة عليه وخروجه عن طاعتها، فإن الأعضاء كلها آلات للروح ومعالم لها تستعملها وتستخدمها ما دامت هى المسيطرة على الجسد، وما دامت هى الحاكمة الآمرة فإذا انعدمت الصلة بين الجسد والروح وحصلت المفارقة انتقل الجسم من حال الى حال وهكذا تنتهى حياة الإنسان، ويموت وتذهب الروح إلى عالم آخر حيث الثواب والعقاب.

أما حقيقة الموت وكنهه فلا نستطيع أن نكشف عنها الغطاء، وكيف نستطيع ونحن لما نفهم بعد حقيقة الحياة وسرها، ومن لا يفهم حقيقة الحياة لا يستطيع أن يعرف حقيقة الموت، فالإنسان لا يزال عاجزا أمام ظاهرة النوم أو ما يسمونه الموته الصغرى، تلك الظاهرة التى لم يعرف العلم بعد كنهها وأسبابها كلها، ولو أننا نعرف أن النوم ناشئ من تغيرات كيميائية تحدث من الحركة فى الأنسجة، وتلك التغيرات التى تحدث فى الأنسجة وقت الحركة هى سبب الإستراحة والنوم الذى به تستعيد سيرتها الأولى كما كانت وهكذا تستمر الحياة نهارا والموت الوقتى ليلا فالنوم ضرورى للحياة، كما أن الحياة والحركة ضروريتان للنوم، فسبحان من لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض.

فإذا كان التفكير فى النوم وسره بمعجز فالتفكير فى الأحلام وسرها معجز، كذلك فالإنسان ينام ويحلم ولا يعرف أنه فى حلم بل إنه فى حياة حقيقية ملموسة فهو يتألم فى حلمه، ويفرح ويتحرك وينتقل بل ربما ركب الطائرة وساقها بنفسه، وهو الذى لم يركبها طيلة حياته، وغير ذلك من الأفعال والمؤثرات والإنفعالات والحركات، وكثيرا ما يوقظه الألم والفزع أو يذهب بنومه الفرح والألم وعندئذ يدرك الحقيقة السافرة ويعلم أنه فى حلم وأن لا حقيقة لذلك الألم ولا لذلك الفرح، وأنه فى فراشه لم يتحرك، ولم يتغير وأنه قد مضى عليه من الوقت أقل مما فات وتصور فسبحانه وتعالى القائل:

أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

(البقرة ٢٥٩)

ومثل هذا يحدث كل يوم فربما يستغرق النوم ساعة من الزمان لا أكثر، ولا أقل ويطول الحلم وتستغرق حوادثه من الوقت ما لا يتسع له أسبوع أو أكثر فالإنسان فى الحلم يخضع لنواميس غير تلك النواميس فالوقت فيه غير ذلك الوقت والقدرة غير تلك القدرة، حرية مطلقة فى الحركة والتصور حرية مطلقة فى الفكر حرية مطلقة فى كل شىء فهو لا يتقيد بذلك الجسد الثقيل، وقد غلبه النوم ولا بذلك الفكر الإنسانى المحدود ولا بتلك الساعة التى يحدها عدد من الدقائق معلوم ومعروف، وهنا تدرك السر والقدرة فى قوله تعالى:

وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ (الحج ٤٧)

فمن يدرى فلعلنا فى حياتنا هذه فى حلم طويل سنفيق منه إذا ما متنا عندئذ تدرك صدق من قال «الناس نيام فإذا ما ماتوا انتبهوا».

والنبى صلى الله عليه وسلم لم يزد عن أن الروح من أمر الله فحقيقة الروح فى ذاتها لا يستطيع أن يكشف عنها أى مخلوق، وأن كل ما يعنينا هو حال الروح بعد الموت وعدم انعدامها بعد ذلك، وما الموت إلا انطلاقا من عقالها فتسبح حرة طليقة بعيدة عن ذلك الجسد البالى كما تسبح فى حالة الحلم لا يحد حركتها مكان، ولا يقف أمامه حاجز ولا تخضع لزمان ولا لسلطة مخلوق مهما كان. وقد قال تعالى:

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾

(آل عمران ١٦٩ - ١٧١)

وقوله تعالى:

قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

(الجمعة ٨)

ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا أهل القليب بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقنى الناس، وأخرجتمونى وأوانى الناس، وقاتلتمونى ونصرنى الناس، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا، فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا).

فقيل يا رسول الله أتناديهم وهم أموات فقال صلوات الله عليه (أو الذى نفسى بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب).

وقال صلى الله عليه وسلم: (لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم

منها سمينا) وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس ورد عليه حتى يقوم). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما الميت فى قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوه تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا، وما فيها وأن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار).

وقال رسول الله صلوات الله عليه (إن مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه).

هذا قليل من كثير مما أخبر به الرسول عن الحياة بعد الموت وسأذكر بعض ما ذكره الخلف الصالح عن ذلك.

قال رجل من آل عاصم الحجدرى (رأيت عاصما فى منامى بعد موته بسنتين فقلت: أليس قد مت، قال بلى. فقلت: أين أنت، فقال أنا والله فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبى بكر بن عبدالله المازنى فنتلاقى أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيهات بليت الأجسام إنما نتلاقى الأرواح قال قلت: هل تعلمون بزيارتنا إياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الأيام كلها قال نفضل يوم الجمعة وعظمته.

وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبانه، فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال: «آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتك). لا يزيد على هذه الكلمات. فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلى، ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو فبينما أنا نائم إذ بخلق كثير قد جاءونى فقلت: ما أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا أنك عودتنا منك هديه عند انصرافك الى أهلك قلت: وما هى:

قالوا: الدعوات التى كنت تدعو لنا بها قلت فإنى أعود بذلك فما تركتها بعد ذلك.

هذا قليل من كثير مما يدل على أن الموت تغير فى الحال فقط وأن الروح حقيقة لا مراء فيها وأنها من أمر الله، وما أوتينا من العلم إلا قليلا.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ
لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾

(سورة النحل)